الفصل الثاني

الموقف المصري من القضية الفلسطينية

obeikan.com

obeikan.com

الملك فاروق وفلسطين :

نصب الملك « فاروق » نفسه محرراً لفلسطين منذ البداية، وخلال زيارة جلالة الملك عبد العزيز للقاهرة تم الاتفاق على دعوة الملوك والرؤساء العرب إلى اجتماع برئاسته ، ليضع البرنامج ويرسم الطريق ويتسلم الأمانة .

كان الملك « عبد الله » يتوجس شرًا من الحلف بين الملك فاروق والملك عبد العزيز ، وكان يرى أن الأول تركى لاصلة له بالعروبة ، والثانى قاطع طريق لاصلة له بالسياسة ، وكان كل همه منصبا على تحقيق حلمه فى مملكة سوريا الكبرى، وكان على صلة وثيقة بالوكالة اليهودية ويساومهم على المشروع [1] .

وكلما فكر الملك فى فكرة الغزو ، بدت له أن هذه الحرب ستكون حلاً كاملا لعدد من المشاكل ، كان له أعداء ألداء جعلوه لايستطيع النوم ، واعتقد أنهم أكثر خطورة من اليهود ، فى ضوء النهار وفى السر نشطت المنظمة الحاسدة « الإخوان المسلمون » جمعت قوة وتترقب انقلاباً يطيح بنظام الملك .

عندما فكر فيهم كان « فاروق » ممتلئاً غضباً وخوفاً ، هو علم أنه إذا لم يسرع باستئصال هذه الأعشاب الضارة ، سيقومون بالإطاحة به من السلطة .

يقومون بتأميم الثروة الكبيرة التى جمعها ، ربما أيضاً يقوموا بشنقه ، الحرب فى (أرض إسرائيل) ستحول انتباه المتآمرين عليه إلى الجبهة، الانتصار سيدعم موقفه وسيسهل عليه استئصال أعداءه من الداخل .

هذه كانت بشكل عام انتقادات خاصة ، خدعهم عند عودته للقاهرة ، فى حقيقة الأمر ، حملت هذه الانتقادات طابعاًسياسياً واضحاً ، فى المباحثات مع القادة العرب اتفق« فاروق» مع الرأى بأن اليهود خطر على العالم العربى كله ، عارض

(١) محمد عودة ، كيف سقطت الملكية فى مصر ؟ فاروق بداية ونهاية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ ص١٥٩.

الهجرة الإضافية للبلاد ، وأظهر تفاهماً للمقاومة العربية فى فلسطين .

بدون استشارة حكومته أعطى الحمية للمفتى المقدسى وأجرى له استقبال ملكى فى مباحثات على انفراد قال له المفتى أنه إذا لم تشارك مصر فى الحرب ، سيحتل « عبد الله » ملك الأردن فلسطين ، ويسيطر عليها .

نظر الملك البدين بمودة إلى المفتى النحيف والملتحى ، ويعينى مخيلته رآه يقيم فى فلسطين دولة عربية تبسط عليها مصر رعايتها .

فى كل مكان وجد الملك علامات عززت مشاعر مهمته كزعيم العالم العربى ، باستقبال قيادة الحكومة والمجتمع المصرى ، الذى تم فى قصر عابدين فى بداية ١٩٤٨ ، هتفت الجموع بإسم الملك وتوجته بصفة نالها فقط الخلفاء، هم أطلقوا عليه اسم « أمير المؤمنين » ، وأثاروا فى عينيه دموع التأثر، فى نفس الوقت، بدأ ممثل عرب فلسطين فى الجامعة العربية « موسى العلمى » بتلقيب فاروق فى خطاباته باسم « رئيس فلسطين » .

كلما مرت الأيام ، زادت الهجمات العربية على المستوطنات اليهودية، وعلى طرق المواصلات المركزية ، الهجمات المضادة على التجمعات السكانية العربية وعلى طرق المواصلات العربية زادت هى أيضاً، من وجهات نظر عديدة هذه كانت حرب حقيقية .

ازداد عدد الضحايا بدون توقف، تم تخليص عدد من المستوطنات اليهودية من الحصار العربى، آخرين لا ، العديد من المتطوعين من الدول العربية عبروا الحدود وانضموا إلى المجموعات القتالية العربية فى البلاد .

أحب فاروق الملابس العسكرية والأسلحة وتباهى بقدرته على التصويب ، الجيش المصرى كان مصدر فخره ، أكثر من زيارة الوحدات العسكرية وأن يمنح فى أغلب المراسم هدايا مالية للضباط والجنود المتميزين، الغزو المنشود أثار فيه

الحماسة ، مثل الولد الصغير الذى يلعب بجنود من الدمى ، طالب بأن يكون مشاركاً فى كل تفاصيل خطة الهجوم، وتعنت أيضاً لكى يحدد بنفسه معايير أنسجة الراية القومية التى ستحملها الوحدات الغازية .

موقف الحكومة المصرية من قضية فلسطين :

قال قائد الحملة الذى وقع عليه الاختيار اللواء « المواوى » :

« هذا فخ تنصبه بريطانيا للجيش المصرى ، لكى تثبت عجزه ، ولايمكن دخول حرب لأن الجيش لم يقم بأية مناورة منذ سبعة عشرة عاما » .

واقتنع وزير الحربية وأعلن :

مصر لن تدخل الحرب ولكن سوف تفتح باب التطوع ، وتوفر للمتطوعين كل ما يحتاجونه

وفجأة تغيرت الحال وانقلبت بين يوم وليلة ... وعقدت جلسة سرية عاجلة فيصدق البرلمان على إعلان الحرب ، وأعلن رئيس الورزاء للأعضاء أن كرامتنا لم تعد تسمح لنا بأن ننتظر ولابد أن نعلن الحرب فوراً[1] .

وهكذا تحت ضغط الأوضاع المتدهورة فى فلسطين قررت مصر إرسال جيشها لمشاركة القوات العربية لإنقاذ فلسطين من براثن العصابات الصهيونية ، وذلك بعد أن قررت بريطانيا التعجيل بإنهاء الانتداب بعد أن تأكدت من قدرة الصهاينة على مواجهة العرب وذلك فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ، وقد تلاه إعلان « بن جوريون » إنشاء دولة إسرائيل[2] .

ولم تكن موافقة البرلمان أو معارضته لتغير شيئاً ؛ لأن الجيش كان قد اجتاز

(١) محمد عودة ، كيف سقطت الملكية فى مصر ؟ فاروق بداية ونهاية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ ص ١٧٠.

(٢) د. محمد عبد المؤمن محمد عبد الغنى ، مرجع سابق ص (٥١٠).

الحدود بالفعل ولم ينتظر القرار الدستورى وبأمر من جلالة الملك نفذه على الفور وزير الحربية .

كانت الحرب قد استبدت بخيال جلالة الملك ، وملكت عليه كل حواسه ، ولم يكن هناك من يجرؤ أو يستطيع أن يقف أمام إرادته .

هكذا دخلت مصر أول حرب منذ الاحتلال ، ولم يساور القائد الأعلى أى شك أنه سوف يسطر صفحة خالدة .... سوف يحرر فلسطين كما فعل صلاح الدين ، سوف يدخل القدس وسوف يؤم الملوك والرؤساء والحكام العرب فى صلاة النصر فى المسجد الأقصى ، وسوف يعود مكللا بالغار ويجهز على خصومه وأعدائه ، وكان مطمئناً أن بريطانيا سوف تقف معه [1] .

رئيس الحكومة المصرية « النقراشى » باشا ، سمع فقط بعد الفعل أن « فاروق » أمر القيادة العامة للجيش المصرى ووزير الدفاع البدء فى الاستعدادات الفورية للغزو ، بلع إهانته ، ذهب إلى المجلس التشريعى ، حكى للسياسيين المفاجئون قرار الملك وبالغ بمقدار كبير فى وصف القدرة العسكرية لمصر ، فى عمق قلبه أعتقد أن الجيش المصرى لن يضطر إلى الحرب لفترة طويلة ، لأنه فور وقوع الغزو ستتدخل الأمم المتحدة وتوقف الحرب ، القرار للخروج للحرب تم التصديق عليه بأغلبية كبرى .

أبقت الإهانة والدهشة رئيس الحكومة المصرية « النقراشى » باشا مضطرباً صامتاً ، منذ تعيينه لم يفكر حتى لمرة واحدة، أن الملك سيخدعه ،علاقاته مع فاروق – كذلك كان يهيئ له – تحركت على شاطئ آمن من التعاون الوثيق والثقة الكاملة ، لقد خدم الملك بتفانى وحرص على طاعة تعليماته – حتى تلقى صدمة لم يكن يتوقعها، فى غضون أشهر، اتضح له أن الملك عمل سراً من خلف ظهره ووجه له الإهانة الكبرى التى تعرض لها فى حياته .لقد علم « النقراشى » باشا أن

(١) محمد عودة ، مرجع سابق ص ١٧١.

مصر عارضت بشدة بشكل رسمى غزو (أرض إسرائيل) ، لكنه لم يعلم أنه رويداً رويداً وفى السر، بسبب ضغط من الداخل ومن الخارج ، وبسبب الطموح الشخصى بعيد المدى ، بدأ فاروق فى تغيير رأيه .

هذا التوجه الذى حدث فى توجهاته حرص الملك أن يحتفظ به لنفسه ، وكانت هناك أسباب كثيرة لنقطة التحول هذه، سواء من الناحية السياسية أو العاطفية، فى الوقت الذى عاد فيه النقراشى باشا وتمسك بكل فرصة فى الموقف الرسمى ، بأن مصر لن تشارك فى الحرب ، التقى فاروق سرّاً فى قصر عابدين مع ملك العراق ومع رئيس حكومة لبنان ، اللذين طلبا منه أن ينضم بجيشه للقوات الغازية .

مصر ستفقد فخراً كبيراً فى العالم العربى إذا لم ترسل جيشها إلى فلسطين ، قالوا له ذلك ، وعندما طرح فاروق شكوكه بشأن القدرة الحربية لجيشه ، تعهد له ملك العراق بالمساعدة العسكرية والتعاون الكامل فى ميدان القتال، ملك مصر خرج أيضاً فى جولات فى الدول العربية والتقى مع رؤسائها بدون مشاركة رئيس الحكومة ومسئولى السلطة .

قرار الملك بدخول الحرب وموقف رئيس الوزراء :

فى وزارة الدفاع بالقاهرة تم إضاءة الأنوار طوال الليل بعد بيان الملك ، أعد ضباط القيادة هناك وثيقة سرية تحت عنوان « قيادة الجيش رقم ٧ لعام ١٩٤٨ .

حدد حجم القوة المصرية المقررة أن تغزو البلاد : كتائب سلاح المشاة والمدفعية ، الدبابات والطائرات الحربية ، كذلك تحدد أنه حتى الساعة ١٢ من ظهر ٢٩ أبريل ستتركز فى العريش كل القوات المصرية التى على وشك الاشتراك فى الحرب على الرغم من أن قوة النيران المصرية كانت أكبر بكثير من قوة المدافعين اليهود، اعتقدت القيادة العامة المصرية أن ذلك لايضمن حسم المعركة، رؤساء الجيش أرادوا طائرات بعدد أكثر ، مزيد من المدافع ، مزيد من

الرشاشات والذخيرة .

خضعت الحكومة المصرية لمطالبهم، لكن بسبب ضغط الوقت كان من الصعب الحرص على قيادة صحيحة للأموال، والإغراء بأخذ جزء منه للجيوب الشخصية كان أكبر وغير مسيطر عليه .

الاستعدادات الجادة فى الجيوش العربية قبيل الغزو (أرض إسرائيل) لم تتوقف فى الصحف المصرية ، كتبت جريدة الاهرام التى أجرت لقاء مع ضباط كبار فى الجيش ، أشارت إلى وجود شعور من الأمان ، قالوا أنهم سيستطيعون التغلب بسهولة على كل العقبات فى طريقهم والوصول إلى تل أبيب فى غضون عدة أيام .

الأنباء التى وصلت من القاهرة طيرت النوم من أعين زعماء اليشوف اليهودى فى (أرض إسرائيل) ، هم علموا أنه بانضمام مصر إلى القوات الغازية، سيجدون صعوبة مضاعفة عدة مرات عند المواجهة فى ميدان القتال، بالسلاح الخفيف الموجود بحوزتهم، هناك قلق وخوف وقف فى الجو .

عشرات السياسيين والضباط المصريين، الذين حلموا بالثراء السهل، أسرعوا الواحد تلو الآخر إلى أوروبا ، سكنوا فى فنادق فاخرة وتفاوضوا مع وسطاء أسلحة دوليين ، الذين وضعوا أموال كثيرة فى جيوبهم وباعوا أسلحة ومعدات قديمة ومعيبة .

المندوبون المصريون اشتروا طائرات حربية إيطالية من طراز « بيات » و«ماكى » مع علمهم الواضح أن مستواها منخفض ، فى سويسرا تم شراء مدافع قتالية مستعملة ، غير صالحة للاستخدام ، فى روما أنشات حاشية الملك « إبراهيم ناموك »، والكولونيل «عمر إبراهيم سيف الدين » ، شركة لتجارة السلاح تفاوضت من أجل شراء طائرات حربية ، سفن قتالية ، دبابات ومدافع .

مع ذلك كثيراً من المواطنين فى مصر كانوا واثقين من أن بلادهم لن تشارك فى

الحرب ، أيضاً كان واضحاً للسياسيين أن الجيش المصرى سيبقى فى الداخل.

فى الوكالة اليهودية فى القدس ، هناك تابعوا بتوتر إزاء مايحدث فى القاهرة، قال « يعقوب شمعونى » ، من كبار المسئولين فى القسم السياسى للوكالة ، أن هناك شك كبير حول الغزو المصرى، اعتقد مسئول بالجامعة العربية ودبلوماسيون أوروبيون وأمريكيون أن فرص الغزو المصرى قريبة من الصفر ، لم يعرف أحد منهم أن الملك « فاروق » اتخذ قراراً آخر

فى ٢٦ أبريل عام ١٩٤٨ استدعت الجامعة العربية قادة جيوش (مصر / الأردن/ العراق / سوريا / لبنان) إلى جلسات طارئة فى عمان ، وصل القادة العسكريون بالسيارات والطائرات ، مرتدين الملابس العسكرية ومتقلدين بدرجات لامعة ، وجوههم كانت صارمة وقرارهم حاسم ، هم علموا أنه لن يكون هناك مفر من قرار إرسال الجيوش النظامية للحرب فى (أرض إسرائيل) من أجل توجيه ضربة قاضية لليهود .

جلسة رؤساء أركان الجيوش العربية دارت بين أبواب مغلقة ، بشعور الضرورة الملحة ، لقد تبقى وقت قصير حتى انتهاء الانتداب البريطانى ، وسيكون يوم ١٥ مايو مع نهاية سلطتهم مناسباً جداً للغزو .

الاستعداد فى الجيش المصرى لدخول الحرب

حينما تصاعدت القضية الفلسطينية، وانتهت إلى قرار التقسيم ذهب ضابط شاب إلى مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى ، وأبلغه باسم الضباط الوطنيين أن المقاومة الفلسطينية تحتاج إلى ضباط محترفين على دراية بالأسلحة والحرب الحديثة ، وأن هناك ضباطا مصريين على استعداد للتطوع والانضمام .

شكره المفتى على عرضه ولكن أبلغه أنه لابد أن يستأذن الحكومة المصرية وطلب إليه العودة مرة أخرى ... وحينما عاد اعتذر له المفتى بأن الحكومة

المصرية رفضت ذلك .

ولم يثن ذلك الضباط عن تصميمهم ونظموا فيما بينهم التطوع ، وحددوا المهام التى أخذوها على عاتقهم ، ووقع اختيارهم على العميد « أحمد عبد العزيز » لتدريب وقيادة المتطوعين وفتح جبهة جنوبية للحرب غير النظامية، وكانت الدول العربية انتهت إلى أن يكون أهل البلاد هم الأساس فى الدفاع عن بلادهم لمعرفتهم بالمواقع والمسالك والدروب ، ولأنهم أول الناس تصميماً وإصراراً على الدفاع عن أهلهم ووطنهم وأموالهم[1] .

البكباشى « أحمد عبد العزيز » قائد كتيبة الإخوان المسلمين الذى شارك فى الغزو تم استدعائه إلى الهضبة المكشوفة على الوادى وإلى مستوطنة كفار دروم ، وبعدما فحص المنطقة بالمنظار المكبر لاحظ وجود قافلة مغروسة والمدافعين عن الكيبوتس الذين خرجوا من مواقعهم متمنين أن تحدث معجزة وأن تصل القافلة على الرغم من ذلك ، ابتسم بسعادة ، كفار دروم على محور حركة كتيبته فى الطريق إلى بئر سبع ، كانت المهمة القتالية الأولى له .

لقد علم حقاً أن وحدة المتطوعين للإخوان المسلمين منيت بهزيمة عندما حاولت احتلال الكيبوتس قبل ذلك بفترة ، لكن هذه المرة كان الأمر مختلفا : كتيبته كانت منظمة بشكل أكثر ، مجهزة بالمدرعات والمدافع ، لقد كان واثقاً تمام الثقة من أن رجاله سينجحون بسهولة فى تنفيذ المهمة .

فى هذه الأثناء ، سيطرت قوات الهاجاناه ، من خلال مجموعة هجمات جريئة على المدن المختلطة ، طبريا ، حيفا ، صفد وعلى مستوطنات عربية فى مناطق مختلفة ، جنود جفعاتى فجروا قيادة الزعيم العربى الأسطورى « حسن سلامة » ، الذى قتل فى وقت لاحق من قذيفة هاون فى منطقة رأس العين (روش هاعين) .

(١) محمد عودة ، مرجع سابق ص ١٧٣.

قائد آخر ، عبد القادر الحسينى ، قائد وحدة الجهاد المقدس قتل بأيدى المدافعين عن الحصن ، سرايا القوات الميدانية والبالماح ضربت جيش الإنقاذ فى منطقة مشمر هاعمق وبدأوا فى تطهير الجليل ، الجنوب وشمال النقب من الثكنات القتالية العربية .

الأنباء التى شاعت عن الهزائم فى المعسكر العربى ، سوياً مع الأنباء عن تمام الإخلاء البريطانى ، احتلال حيفا على أيدى الهاجاناه ، والأنباء الفظيعة عن مقتل ٢٠٠ من الرجال والنساء والأطفال العرب خلال هجمات منظمة اتسل على قرية دير ياسين أثارت الخوف فى التجمعات العربية ، وإزداد معدل هرب سكانها .

اللاجئون الذين وصلوا إلى مصر من (أرض إسرائيل) حكوا عن أعمال مطاردة وقتل وعن الضائقة التى يعيش فيها من تبقى خلفهم ، وكتبت المنشورات فى ساحات القاهرة « يافاروق أنقذ فلسطين » .

عشية غزو الجيش المصرى للبلاد، تم إرسال نجيب مع كتيبته إلى العريش، من أجل الاستعداد فى الحرب، قلبه كان ثقيلاً، شعر بأن الجيش ليس مستعدا للحرب البريطانيون الذين حكموا مصر منذ القرن التاسع عشر ، كانوا مسئولين على تدريبات الجيش المصرى وفقاً لاتفاقية تم توقعيها فى عام ١٩٣٦، على حد رأى «نجيب»، هم عملوا عملاً سيئاً عن عمد ، لأنهم رغبوا أقل من الجميع فى الاعتناء بجيش يستطيع فى يوم من الأيام أن يقوم ضدهم ويطردهم من البلاد ، مستوى الضباط كان معقولاً حقاً، أغلبهم كان من أبناء عمال فى خدمة المجتمع – لكن مستوى الجنود كان منخفضاً جداً .

عندما وصل نجيب مع كتيبته إلى العريش، وجد تأشيرة أضافية لشعوره بأن هناك شيئاً معيباً فى مهام الجيش ، من أجل نقل كتيبته الى منطقة تجمع الجيش ، كان بحاجة إلى ٢٠ شاحنة ، القيادة تعهدت بإرسال المركبات المطلوبة اليه، لكن لسبب ما لم تصل، ركض نجيب ممتلئاً غضبا بين مواطنى رفح وغزة وأستأجر

منهم بنقود كاملة شاحناتهم الخاصة، بعد ذلك اتضح أنه لم يتم ارسال أيضاً حاملات المدافع، وبدونهم من غير الممكن نقل المدافع على الطريق الوعر المار بالكثبان الرملية على طريق البحر، أطقم المدافع نتفوا شعرهم عندما رأوا الكتيبة تتحرك إلى الشمال بدونها .

obeikan.com